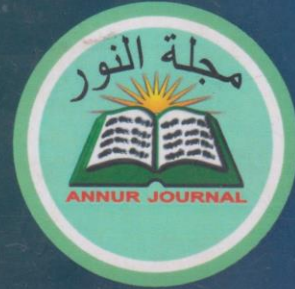




# مجلة النور



مجلة اللغة العربية والدراسات الإسلامية

تصدر عن

قسم الدراسات العربية

جامعة ولاية يوبي - دماطرو

**ANNUR  
JOURNAL**

Arabic and Islamic Studies

*Published By*

THE DEPARTMENT OF ARABIC STUDIES

**YOBE STATE UNIVERSITY - DAMATURU**

Vol. 1, No. 2 July 2013

**ANNUR:**

*Journal of Arabic & Islamic Studies*

Volume I, Number II

(July 2013)

**النور:**

مجلة اللغة العربية والدراسات الإسلامية

المجلد الأول - العدد الثاني

(يوليو ٢٠١٣ م)

ISSN: 978-019-286-7

## موقف الإسلام في الشعر

إعداد/

د. لطيف أونيرتي إبراهيم

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إلورن

إلورن، نيجيريا

[oniretill@yahoo.com](mailto:oniretill@yahoo.com)

08082863111

و

عبد الرافع عبد الرحيم

كلية الرفاعي للقانون والدراسات الإسلامية،

ميسو، ولاية بوتشي، نيجيريا

مقدمة:

لا تزال قضية الشعر، من حيث جوازه أو عدمه في الإسلام، تثير الجدل بين العلماء ويقف بعضهم عند هذه الآيات من قوله سبحانه وتعالى: "والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون". (سورة الشعراء، الآية) مستدلا بها على أن القرآن الكريم ذم الشعراء وشعرهم، مع وجود الاستثناء الوارد بعد هذه الآيات، إضافة إلى آيات أخرى وأحاديث كثيرة تناولت قضية الشعر، ولذلك يرى هذا البحث ضرورة تبسيط الحديث عن هذه النصوص وتكثيف الغبار عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم في الشعر، وتبسيط الضوء عن موقف الصحابة والتابعين في القضية، ثم يبين الفرق بين منهج النبوي ومنهج الشعر، ويأتي الحديث عن مكانة الشعر العربي.

### تعريف الشعر:

فالشعر لابد قبل الحديث عنه من التعريف، إذ أن الحكم على شيء فرع عن تصويره كما يقولون. الشعر في اللغة واحد الأشعار، قال صاحب القاموس: شَعَرَ به شَعْرًا وشَعْرًا وشَعْرًا وشَعْرًا وشَعْرًا وشَعْرًا. علم به وفطن له وعقله، وليت شعري فلانا وله وعنه ما صنع أي ليتني شَعَرْتُ، وأشعره الأمر وبه أعلمه، والشعر غلب على منظوم القول لشرفه بالوزن والقافية..<sup>(1)</sup> هذا في اللغة، أما في اصطلاح الأدباء: فهو الكلام الجيد البليغ الذي يعتمد على الوزن والقافية، وإن شئت قلت كما قال قدامة بن جعفر في نقد الشعر: "قول موزون مقفى يدل على معنى".<sup>(2)</sup>

ولعل التعريف الشامل له عند العرب القدماء "هو الكلام الموزون المقفى المنبعث من العاطفة والخيال والمختوم بنوع واحد من الحروف".<sup>(3)</sup> إلا أنه ليس بضروري أن يكون مختوما بنوع واحد من الحروف عند بعض المولدين الذين تأثروا بالغربيين. والذين ظهر على أيديهم أخيرا الشعر المنثور.<sup>(4)</sup> فالشعر إذن، هو ذلك النوع - من الأدب - الذي يلتزمون فيه حدود خاصة، وسمتا معينا، ينبثق من العاطفة، وينضرو دائما إشراق الخيال وحلاوة اللفظ وأناقته، وجمال المعنى وبهجته، مع خضوعه دائما لقيود الوزن وحدود القافية. والشعر عند العرب صفة قديمة لهم ولا يمكن تحديد بدء ظهوره، لأن العرب لم تساعدهم الكتابة، ولم يسعفهم تدوين. ومما يدل دلالة واضحة على ذلك، أنه قد نقل عن بعض الشعراء الأوائل من الأشعار ما يدل على أنهم تأثروا بأشعار أسلافهم وإن لم ترو لنا هذه الأشعار، فهذا امرؤ القيس يقول:

عوجا على الطلل المحيل لعننا \* نبكى الديار كما بكى ابن خزام<sup>(5)</sup>

فمن هو ابن خزام هذا؟ وما هي تلك القصائد التي صورت دمعته وخملت آهته؟ وهذا زهير يقول:

ما أرانا نقول إل معارا \* أو معادا من قولنا مكرورا<sup>(6)</sup>

فأين هذه الأشعار التي استعاروها، وتلك الأخيلة والأفكار التي كرروها ورددوها؟ وهذا عنتره يصيح قائلا:

هل غادر الشعراء من متردم؟<sup>(7)</sup>

نخلص من ذلك كله إلى أن الشعر قد تهذبت حواشيه في زمن لا نعرفه، ولا يمكن أن

نهتدى إليه، لأن العرب - كما سبق أن قلنا - لم تساعدهم كتابة، ولم يسعفهم تدوين.

### موقف الرسول من الشعر

اتباعا للمنهج الذي وضعناه في مقدمة البحث ننظر الآن في موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر، فيظهر ذلك لنا جليا في كثير من أقواله وأفعاله، ومن ذلك أنه لما بُعث الرسول صلى الله عليه وسلم وقف قريش ومن يعينها من العرب ضد الرسول صلى الله عليه وسلم فأصبحوا في جانب، والرسول صلى الله عليه وسلم ومن هاجروا معه من مكة ومن التوا

حوله في المدينة في جانب آخر، فلما نشبت الحرب بينها وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أخذوا يسددون سهام أشعارهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين وأنصاره من المدينة، وعز ذلك عليه لا لأنهم كانوا يهجونهم فحسب بل أيضا يصدون عن سبيل الله بما يذيع من شعرهم في القبائل العربية، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "لأنصار: ما يمنع القوم الذين نصرنا رسول الله بسلحهم أن ينصروه بالسنتهم؟" فقال حسان بن ثابت: "أنا لها"، وأخذ بطرف لسانه، وقال: "والله ما يسرنى به مَقُولٌ بين بُصْرَى وصنعاء" وفي أغاني قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "كيف تهجوهم وأنا منهم؟" فقال: "إني أسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين" وقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما كافحت عن الله عز وجل وعن رسول الله".<sup>(8)</sup> وانضم إليه كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، فاصتدم الهجاء بينهم وبين شعراء مكة. ويقال إن أول ما جرى به لسان حسان بن ثابت حين سله على قريش هذه الأبيات يتحدى بها أبا سفيان بن الحارث:

هجوت محمدا فأجبتُ عنه \* \* وعند الله في ذاك الجزاء

فإن أباي ووالدتي وعرضي \* \* لعرض محمد منكم وقاء

أتهجوه ولست له بكفء \* \* فشركما لخير كما الفداء.<sup>9</sup>

ومنه سؤاله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وهو على سفر: أين حسان بن ثابت؟ فقال حسان: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: "أنشد" فجعل ينشد ويصغي إليه النبي صلى الله عليه وسلم ويستمتع، فما زال يستمتع إليه وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة يمس الورك حتى فرغ من نشيده، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لهذا أشد عليهم من وقع النبل".<sup>(10)</sup>

ومنه أيضا ما حدث لما مرّ الزبير بن العوام رضي الله عنه بمجلس لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وحسان ينشده وهم غير آذنين لما يسمعون من شعره، فقال: "ما لى أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة: ... لقد كان ينشد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه ويجزل ثوابه، ولا يستغل عنه بشيء".<sup>(11)</sup>

ومن المواقف المؤيدة من الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه الشعر ما رأيناه لما قدم وقد بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم وهم سبعة أو ثمانية رجال - وفي هذه القصة وضع النبي صلى الله عليه وسلم لحسان منبرا وأجلسه عليه - دخلوا المسجد فوقفوا عند الحجرات، فتأدوا بصوت عال جاف: "أخرج إلينا يا محمد فقد جنناك نفاخرك، وقد جننا بشاعرنا وخطيبنا"، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فطلبوا منه صلى الله عليه وسلم أن يأذن لشاعرهم وخطيبهم، فأذن لخطيبهم، فقام عطار بن حاجب بن زرة، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم قيس بن ثابت فرد عليه، ثم قام شاعرهم الزريقان بن بدر فقال:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا \* \* منا الملوك وفيينا يقسم الربع

ونحن نطعم عند القحط مطعمنا \* \* من الشواء إذا لم يؤنس القرع

إلى آخر ما قال، فلما فرغ الزبرقان بن بدر، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسانا بالرد عليه، فارتجل حسان قصيدته:

إن الذوائب من فهر وإخواتهم \*\* قد بينوا سنة للناس تتبع  
يرضى بها كل من كانت سريرته \*\* تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا  
قوم إذا حاربوا ضرروا عدوهم \*\* أو حاولوا النفع في أشياءهم نفعا  
سجية تلك فيهم غير محدثة \*\* إن الخلائق فاعلم شرها البدع

فلما فرغ حسان من قصيدته، قال الأقرع بن حابس أحد رجال الوفد: "والله إن هذا الرجل (يعنى محمد) لمؤتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا..." ثم أسلموا.<sup>(12)</sup>

ومنه موقفه صلى الله عليه وسلم مع واحد من أشداء خصومه، كعب بن زهير، الذى اتخذ الشعر وسيلة إلى استرضاء الرسول واستغفوه، أرى من الأنسب هنا أن نلخص كلاما عن الإسلام هذا الرجل الذى أصبح بعد ذلك شاعرا من شعراء الإسلام، يقول الدكتور: مصطفى محمود يونس: "حين أطل الإسلام بظله جزيرة العرب دخل بجير أخو كعب في هذا الدين الجديد، ونصح لأخيه كعب بالدخول في الإسلام، ولكن كعبا كفر بهذا الدين وهجا أخاه بجير، واتهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاختلاق، فغضب عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأهدر دمه، وكان ذلك أمرا جللا اهتزت له نفس كعب، واضطرب له قلبه وحارت قوته وأظلمت عينه، وضافت عليه الأرض بما رحبت، وأخذ يعرض نفسه على القبائل لتحميمه من هذا الخطر الذى يلاحقه، والبلاء الذى ينتظره، فلم تقبل قبيلة من القبائل أن تجيره أو تقف إلى جانبه، وهناك لم يجد بدا من الالتجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتوسل إليه بحلمه وكرمه وعفوه، فتكرر في شكله ودخل عليه المسجد في صلاة الفجر وسلم عليه، ثم قال: لو جاء إليك كعب عائدا لائذا أتقبل منه؟، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أقبل، وحينئذ قال له بأبى أنت وأمي يا رسول الله، أنا كعب، ثم أنشده لاميته المشهورة، فلما بلغ قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به \*\* وصارم من سيوف الله مسلول

في عصابة من قريش قال قائلهم \*\* ببطن مكة لما أسلموا: زولوا

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف \*\* يوم اللقاء ولا ميل معازيل

نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من عنده من قريش، كأنه يوحى إليهم أن يسمعوا. فلما انتهى من القصيدة تهلل وجه الرسول صلى الله عليه وسلم بشرًا وخلع عليه برده اشتراها معاوية بعد ذلك من أبنائه بعشرين ألف درهم، وكان يلبسها الخلفاء بعد معاوية في العيدين.<sup>(13)</sup>

ولقد بلغ من حب الرسول صلى الله عليه وسلم للنوع الجيد من الشعر واستماعه إليه أن رأيناه صلى الله عليه وسلم يوم فتح يسلأ أبابكر أن ينشد بعض أبيات من قصيدة حسان بن ثابت الذى بدأها بقوله:

عفت ذات الأصابع فالجواء \* \* إلى عذراء منزلها خلاء

فأنشد أبوبكر القصيدة إلى أن بلغ قوله:

عدمنا خيلنا إن لم تـروها \* \* تشير النقع موعدها "كداء"

قال عليه الصلوة والسلام: "أدخلوا الخيل من حيث قال حسان... يريد ما قاله في البيت السابق فدخلت الخيل مكة يوم الفتح من باب "كداء".<sup>(14)</sup> بل وكثير ما شفعت هذه القصيدة لحسان وخلصته من محرجات كان يتورط فيها، ولقد غضب النبي صلى الله عليه وسلم مرة، وهم بعقابه فاسترضاه بقوله: يا رسول الله بأبي أنت وأمي احفظ قولى:

هجوت محمدا فأجبت عنه \* \* وعند الله في ذاك الجزاء

فعفا عنه، ولم يكتف بالقول، بل وهبه سيرين أخت مارية<sup>(15)</sup> القبطية، ومعنى هذا أنه بالغ في إكرامه، ورفعته إلى مقام معادلته في الصهر، ولهذه القصيدة أيضا غفرت عائشة لحسان اشتراكه في حديث الافك، ومنعت الناس أن يذكره بسوء حينما مرت جنازته عليها.<sup>(16)</sup>

نتوصل من كل ما سبق إلى أن الشعر، حين أخلص في وجهته، وسلم مما كان يدنس من هتك الأعراض، وكشف الأستار، كان من أسلحة الدعوة الإسلامية، والألسنة المجاهدة المكافحة في سبيل تثبيت دعائمها واستقرار قوائمها. كما نتوصل من ذلك أيضا إلى أن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر موقف مآيد، ونعنى بالشعر هنا النوع الجيد الذي لا يصطدم مع تعاليم الإسلام، وهو الذي اشتثنى الله سبحانه وتعالى أصحابه في آيات سورة الشعراء، والتي تعينه أية سورة يس، وهي التي سنتعرض لما قيل فيها في السطور التالية.

ما قيل في تفسير آيات سورة الشعراء وأية سورة يس:

قال الله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" (سورة الشعراء، الآيات: 224 - 227). وقال تعالى: "وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين". (سورة يس، الآية: 69).

ذهب بعض الناس إلى أن موقف الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم ينافى ويزاد ما أثبتناه آنفاً. ويستدلون على ما ذهبوا إليه ببعض النصوص، منها الآيات التي أثبتناها سابقا ونرى أنه من الأنسب في هذا الصدد أن نثبت بعض ما رواه العلماء في أسباب نزول الآيات السابقة في سورة الشعراء، قالوا:

"تهاجى رجالان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الأنصار، والآخر من قوم آخرين، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه، وهم السفاء، فأنزل الله "والشعراء يتبعهم الغاؤون" الآيات.<sup>(17)</sup>

من هنا نعرف أن الآيات لم تدم من الشعر والشعراء إلا الشعر والشعراء المعين، أما الشعراء المسلمين، فقد استثناهم القرآن الكريم، ولا أدل على ذلك من أن الآيات لما نزلت جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قريظة وكعب وعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت، فقالوا: إنا نقول الشعر، وقد نزلت هذه الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرءوا، فقرءوا (والشعراء) إلى قوله: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فقال: أنتم هم (وذكروا الله كثيراً) فقال: أنتم هم (وانتصروا من بعد ما ظلموا)، فقال: أنتم هم.<sup>(18)</sup>

ومنه ما أخرجه أحمد والبخاري في تاريخه وأبو يعلى وابن مردويه عن كعب بن مالك أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "أن الله قد أنزل في الشعراء ما أنزل فكيف ترى فيه؟" فقال: "إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل".<sup>(19)</sup> ومما دل أيضاً أن الشعراء الذين تدمهم هذه الآيات هم الشعراء الكافرون الذين يحاربون الإسلام والمسلمين بشعرهم ذلك الاستثناء "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات" وقد ذكر أن هذا الاستثناء نزل في شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ثم هو لكل من كان بالصفة التي وصف الله بها.<sup>(20)</sup>

إذن، الواضح من كل ما قدمناه أن الآيات إنما تهاجم شعراء المشركين الذين كانوا يهجون الرسول، فالقرآن لم يهاجم الشعر من حيث هو الشعر، وإنما هاجم شعرا بعينه كان يؤذى الله ورسوله.

1- أما الآية التي في سورة يس "وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين". (سورة يس الآية: 69) فليس لأهؤلاء الناس فيها حجة أيضاً، إذ معنى الآية كما قال أبو إسحاق الزجاج:

ما جعلناه شاعرا، وهذا لا يمنع أن ينشد شيئا من الشعر، قال النحاس: هذا من أحسن ما قيل في تفسير الآية، وقيل إنما خبر الله عز وجل أنه ما علمه الشعر، ولم يخبر أنه لا ينشد شعرا، وهذا ظاهر الكلام.<sup>(21)</sup>

ثم أن هذه الآية لا صلة لها بمسألة ذم الشعر، ولا بتحقيق الشعراء، فقد باعد الله سبحانه وتعالى بين الرسول صلى الله عليه وسلم والشاعرية لأسباب منها:

1- لو أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان شاعرا يقول الشعر وينظمه، لاقتضاه ذلك حسب عرفهم وعادتهم أن ينظمه في كل فنون الشعر وأبوابه من مدح وهجاء وفخر وغزل وخمر ولهو ورثاء... الخ ومن هنا كانت القصيدة المعلقة هي النموذج الرفيع الذي يحتذى وينسج على منواله... فإذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم الشعر في هذه الأبواب كلها، صار شاعرا فحلا مقلدا يعنى شاعرا مثاليا في القمة... وسيكون الأمر مؤسفا ومثيرا للضحك والسخرية حقا... نبي مرسل إلى الناس يقول الشعر في الغزل والخمر والهجاء...

الخ. وإلا لو اقتصر شعره على بعض الأبواب دون بعضها الآخر، فسيكون شاعرا من درجة أدنى، وسيكون الأمر مؤسفا مضحكا أيضا... نبي رسول إلى الناس شاعر من الدرجة الثانية أو الثالثة يتفوق عليه آخرون... أهذا يليق؟ فنحن إذن بين أمرين أحلاهما مر: إما أن يكون هذا الرسول شاعرا مفلقا، وتلك مصيبة... وإما أن يكون غير مفلق وتلك مصيبة أيضا... وما دام الأمر كذلك، فلتطرح المسألة برمتها بعيدا، ولتبتعد منذ البداية، وكفى الله المؤمنين القتال... "وما علمناه الشعر وما ينبغي له..."

2- جرت العادة والعرف عند العرب أيضا أن للشعر والشاعر صلة بعالم الشياطين، وأن كل شاعر - بل لكل مبدع في فن من الفنون شيطانا يوحى إليه بما يقول من الشعر، وأن أبرع الشعراء من كان شيطانه من "واد عبقر" يقول الشاعر:

إني وإن كنت صغير السن \*\* وكان في العين نُبُو عَنِّي  
فإن شيطاني أمير الجن \*\* يذهب بي في الشعر كل فن

ويقول الراجز:

إني وكل شاعر من البشر \*\* شيطانه أنثى وشيطاني ذكر<sup>(22)</sup>  
ولهذا وذلك نزه الله سبحانه وتعالى رسوله عن أن يكون شاعرا ينظم الشعر، كما أبعد القرآن الكريم من أن يكون شعرا،<sup>(23)</sup> وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين. قال ابن العربي:

"هذه الآية ليست من عيب الشعر، كما لم يكن قوله: "وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك" (سورة العنكبوت الآية: 48). من عيب الكتابة، فلم تكن الأمية من عيب الخط، كذلك لا يكون نفي النظم عن النبي صلى الله عليه وسلم من عيب الشعر، روي أن المؤمن قال لأبي علي المنقري:

بلغني أنك أُمي، وأنت لا تقيم الشعر، وأنتك تلحن، فقال: يا أمير المؤمنين، أما اللحن فربما سبق لساني منه بشي وأما الأمية وكسر الشعر، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يكتب ولا يقيم الشعر، فقال له: سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعا، وهو الجهل، يا جاهل... إن ذلك كان للنبي صلى الله عليه وسلم فضيلة، وهو فيك وفي أمثالك نقیضة، وإنما منع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لنفي الظنة عنه، لا عيب في الشعر والكتابة.<sup>(24)</sup>

ومما استدل به على منع الإسلام للشعر قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لأن يمتلئ جوف أحدكم فيحا حتى يريه - يفسده - خير له من أن يمتلئ شعرا" والحقيقة أن السبب الذي أدى بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن يقول هذا الحديث يتضح من الرواية الآتية: اخرج ابن أبي شيبة وأحمد عن أبي سعيد قال: "بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عرض شاعر ينشد، فقال النبي

صلى الله عليه وسلم خذوا الشيطان أو امسكوا الشيطان لأن يمتلئ الحديث..<sup>(25)</sup>

فالواضح من الحديث أن الشاعر اعترض طريقهم وتصرف تصرفا غير لائق، لذلك ذمه الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا موجه إليه خاصا وكل من سلك مثل هذا المسلك من الشعراء، مثل هذا الحديث مثل تلك الآيات، إنما يهاجم فيه شعرا بعينه كان يؤدي الله ورسوله، وكيف لا، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعجب بالشعر ويقول حين يسمع بعض روائعه: "إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكما أو حكمة" (رواه) وكان يحض حسان بن ثابت وغيره- كما سبق- على نظمه ويثيبهم.

#### بين منهج النبوة ومنهج الشعر:

فمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهج الشعراء، مختلفان ولا شبهة هناك، فالأمر واضح صريح: "والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون" (سورة الشعراء، الآية). فهم يتبعون المزاح والهوى، ومن ثم يتبعهم الغاؤون الهائمون مع الهوى، الذين لا منهج لهم ولا هدف، أن منهج الإسلام- وهو منهج حياة كامل معد للتنفيذ في واقع الحياة- إن طبيعة الإسلام هذه لا تلائمها طبيعة الشعراء لأن الشاعر يخلق حلما في حسبه ويقنع به، فأما الإسلام يهيمه تحقيق الحلم ويعمل على هذا التحقيق، ويحول المشاعر كلها لتحقيق في عالم الواقع.

ومع هذا فالإسلام لا يحارب الشعر والغناء لذاته- كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ- إنما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والغناء، منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها، ومنهج الأحلام الموهومة التي تشغل أصحابها عن تحقيقها. ومن ثم يستثنى القرآن الكريم من ذلك الوصف العام للشعراء: "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا"، فهؤلاء ليسوا داخلين في ذلك الوصف العام، هؤلاء آمنوا فامتألت قلوبهم بعقيدة واستقامت حياتهم على منهج، وعملوا الصالحات، فأتجهت طاقاتهم إلى العمل الخير الجميل، ولم يكتفوا بالتصورات والأحلام، وانتصروا من بعد ما ظلموا" فكان لهم كفاح ينفشون فيه طاقاتهم ليصلوا إلى نصرته الحق الذي اعتنقوه.<sup>(26)</sup>

ثم ينفي الله سبحانه وتعالى لبقاقة الشعر بالرسول صلى الله عليه وسلم في آية سورة يس: "وما ينبغي له" فالشعر منهج غير منهج النبوة، الشعر انفعال، وتعبير عن هذا الانفعال، والانفعال يتقلب من حال إلى حال، والنبوة وحي، على منهج ثابت، على صراط مستقيم، يتبع ناموس الله الثابت الذي يحكم الوجود كله، ولا يتبدل ولا ينقلب مع الأهواء الطارئة تقلب الشعر مع الانفعالات المتجددة التي لا تثبت على حال.

والنبوة اتصال دائم بالله، وتلقى مباشر عن وحي الله، ومحاولة دائمة لرد الحياة إلى الله- بينما الشعر- في أعلى صورة أشواق إنسانية إلى الجمال والكمال مشوبة بقصور الإنسان وتصوراته المحددة بحدود مداركه واستعداداته.<sup>(27)</sup>

ومن هنا نعرف بعض الأسرار الذي يوجد في أبعاد الله سبحانه وتعالى رسوله عن دائرة الشعراء، ونفى من أن يكون ما أنزل عليه شعر، وذلك لاختلاف المنهجين والطبيعتين.

#### موقف الصحابة والتابعين من الشعر:

إذا انتقلنا إلى الصحابة رضوان الله عليهم، فإننا لا نجد لهم موقفاً يختلف عن موقف القرآن الكريم وصاحبهم العظيم بازاء الشعر، فقد أثبت التاريخ وسجل أنهم كانوا يقدرون له قدره، وينزلونه المنزل اللائقة به، ومثل ذلك فعل التابعون والتالون من أسلاف هذه الأمة، فهذا أبوبكر رضي الله عنه تورد بعض الروايات أنه كان شاعراً- كما كان صاحباه عمر وعلي- إذ يروى عن سعيد بن المسيب:

"كان أبوبكر شاعراً، وكان عمر شاعراً، وعلي أشعر الثلاثة".<sup>(28)</sup>

ومما يروى لأبوبكر في رثاء رفيقه في الغار:

فيا عين بكّي ولا تسامي \*\* وحقّ البكاء على السيد  
على خير خنّيق عند البلاء \*\* أمس يغيب في الملحد  
فصلّى المليك وليّ العباد \*\* وربّ البلاد على أحمد  
فكيف الحياة لفقد الحبيب \*\* وزين المعاشر في المشهد  
فليت الممات لنا كلنا \*\* وكنا جميعاً مع المهتدي<sup>(29)</sup>

بل وكان أبوبكر رضي الله عنه ناقداً، وقد روي عنه أنه يقدم النابغة، ويقول: هو أحسنهم شعراً، وأعذبهم بحراً، وأبعدهم قعرًا.<sup>(30)</sup> أما الفارق أبو حفص عمر- رضي الله عنه- فشهرته في مجال الأدب متسعة، واهتمامه لا تقف عند حدّ، فهو من جانب يقول الشعر، ومن جانب ثان يأمر بالعناية بالشعر والعمل على تعلمه وحفظه، وروايته، والتخلق بما تضمنه من خلق رفيع، وسلوك حميد، ومبادئ كريمة، فيكتب إلى أبي موسى الأشعري:

مر من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدلّ على معالي الأخلاق وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب، ومما روي له يوم الفتح قوله:

ألم ترى أن الله أظهر دينه \*\* على كل دين قبل ذلك حائد  
وأمكنه من أهل مكة بعد ما \*\* تداعوا إلى أمر من الغيّ فاسد  
غداة أجال الخيل في عرصاتنا \*\* مسومةً بين الزبير وخالد  
فأمسى رسول الله قد عزّ نصره \*\* وأمسى عداه من قتيل وشارد

ومن جانب ثالث: كان من أنقذ أهل زمانه وأنفذهم فيه معرفة، ومما يدل على هذا ما يروى أن عبد الله بن عباس قال:

قال لي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: أنشدني لأشعر شعرائكم، قلت: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قلت: وبما صار كذلك؟ قال: كان لا يعاظم بين الكلام ولا يتبع حوشية، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه؟<sup>(31)</sup>

ومما اشتهر في هذا المجال علي ابن أبي طالب، فقد كان أفصح الثلاثة في ميدان الخطبة النثرية، كما كان أفصحهم وأجودهم في باب الشعر، وينسب إليه ديوان شعر طبع مرات، ومن شعره قوله:

أفاطم هاتى السيف غير ذميم \* فلست برعديد ولا بمليم  
لعمري لقد قاتلت في نصر أحمد \* وطاعة رب بالعباد رحيم  
عوسيفى بكفى كالشهاب أهره \* أجذب من عائق وصميم

ومع إجادته في قول الشعر كان ناقدًا، فلقد روي السيوطي أنه فضل امرء القيس على الشعراء، حيث قال: "رأيت أحسنهم نادرة، وأسبقهم باردة، وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة."<sup>(32)</sup> فهذا معاوية بن أبي سفيان، فقد أثبت له السيوطي كلاما يدل على اهتمامه بالشعر والأمر بروايته، قال:

كتب معاوية بن أبي سفيان إلى زياد: إذا جاءك كتابي فأوفد إلى ابنك عبيد الله، فأوفده عليه فما سأله عن شيء إلا أنفذه له حتى سأله عن الشعر فلم يعرف منه شيئًا، قال: فما منعك من روايته؟ قال: كرهت أن أجمع كلام الله وكلام الشيطان في صدري، فقال: اعزب،<sup>(33)</sup> والله لقد وضعت رجلى في الزكاب يوم صفين<sup>(34)</sup> مرار، ما يمنعني من الانهزام إلا أبيات ابن الإطابة حيث يقول:

أبت لي عفتى وأبى بلائى \* وأخذى الحمد بالثمن الربيع  
واعطائى على الاعدام مالى \* واقدامي على البطل المشيع  
وقولى كلما جشأت وجاشت \* مكانك تحمدي أو تستريحي  
لأدفع عن مآثر صالحات \* وأحمى بعد عن عرض صحيح

وكتب إلى أبيه: أن روه الشعر، فرواه فما كان يسقط عليه منه شيء.<sup>(35)</sup>

هذا إذا ذهبنا نعدد صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، ورضى الله عنه عن أصحابه - واحد بعد آخر، نرى أن موقفهم لا يختلف عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه هذه القضية، حيث إن جملة من أخبارهم وأقوالهم ومواقفهم ترينا بجلاء ما كان للشعر من تقدير ورعاية عندهم.

هذا عن الصحابة، أما التابعين، فسكتفى بالإشارة على التابعين الجليلين: سعيد بن المسيب، ومحمد بن سيرين، فقد كان لهما رأى محسوب للشعر منحاز إليه، يتبين ذلك من مواقفهما التالية:

فقد روي بالنسبة لأولهما - ابن المسيب - أنه قيل له: "إن قوما بالعراق يكرهون الشعر - ظنا منهم أنه يباعد بين المرء والتقى وحسن التدين - فقال: "تسبكوا نسكا أعجميا؟" أما ثانيهما - ابن سيرين - فقد كان يقول: "الشعر كلام عقد بالقوافي، فما حسن في الكلام حسن في الشعر، وكذلك ما قبح منه." وسئل في المسجد عن رواية الشعر في رمضان، وقد قال قوم أنها تنقض الوضوء، فسكت ولم يجب بكلام، ولكنه أجاب بعمل حيث أنشد:

نبئت أن فتاة جئت أخطبها \* عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول  
ثم قام، فأمر الناس للصلاة، وأخيرا، هذا هو الإمام الشافعي - محمد بن إدريس - فقد كان من أحسن الناس شعرا، وله ديوان شعر مطبوع متداول في أيدي الناس.<sup>(36)</sup>  
هذا فقد ظهر واضحا أن موقف الصحابة رضوان الله عليهم، والسلف الصالح من التابعين والتالين لهم، لم يختلف عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث أن أقوالهم وأعمالهم ومواقفهم تجاه الشعر تنطق بكل الوضوح عن موقفهم المؤيد المشجع لهذا النوع من الشعر.

ومن هنا نرى أن نقف قليلا لنبحث عن مكانة هذا الشعر العربي، من حيث مساهمته في بناء الدولة الإسلامية الكبرى، ومساعدة طلبة العلم في فهم المعلومات وتقريبها إلى أذهانهم.

#### مكانة الشعر العربي:

فإذا انطلقنا نبحث عن مكانة هذا الشعر لوجدنا أنه مما لاشك فيه أن كثيرا من الشعر العربي له اليد الطولى في المساهمة في تفسير كثير من ألفاظ الشريعة الواردة في الأصولين العظيمين والمصدرين الكريمين الكتاب والسنة، إذ بواسطة الشواهد والأدلة من الأدب العربي نستعين على فهم كتاب الله الكريم وسنة صاحب الحق العظيم، وما أصدق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين قال مخاطبا العرب:

عليكم بديوانكم لا تضلوا، فقالوا: وما ديواننا؟ قال شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم.<sup>(37)</sup>

وبواسطة هذا الشعر بحث علماء اللسان الأساليب المختلفة والتركيب المتنوعة في الشعر العربي، فأرسوا قواعدهم وأصلوا أصولهم مستقين من معينه ومستضيئين بنور مصاحبه، فإذا بحثنا عن الأسباب التي اقتضت محافظة المسلمين على الأدب الجاهلي لوجدنا أن من أسبابها:

الأول: حاجة مفسري القرآن الكريم إلى شواهد وأدلة من كلام العربي القديم على صحة التفسير والفهم لكلام رب العالمين.

الثاني: بحث النحاة واللغويين في عصر التدوين ووضع قواعد اللغة العربية عن الشعر الجاهلي وعن كلام عربي قديم وأحيائهم وتسجيلهم لكل ما نقلوه أو سمعوه من أجل استنباط القواعد ومعرفة معاني الكلمات.

الثالث: اقتداء الشعراء بالشعر الجاهلي وروايتهم له وتقليدهم إياه، لأنه كان هو المقياس للقيمة الأدبية لدى النقاد والعلماء في ذلك الوقت.

إضافة إلى ذلك كله أنه مما لا يجهله كل الناس أن الشعر له الأثر الطيب في إعانة طلاب العلم وحملة الشريعة على جمع ما تفرق ونظم ما تشتت من العلوم والفوائد بل وسائر الفنون، فإنه ما من فن من فنون القرآن والحديث وعلوم اللغة إلا وقد نظمت فيه المناظير وقيلت فيه الأشعار، فسهل حفظها على الصغار والكبار، فيقوم هذا الشعر ليقدمها لقمة سائغة لمن يريد تعليمه، فتعيها ذاكرته، وتسجلها حافظته، فيسهل عليه استدعاؤها في الوقت المناسب<sup>(38)</sup>

ثم إذا بحثنا عن دور هذا الشعر في المعارك الإسلامية، لنجد أنه لم تكن هناك معركة من تلك المعارك إلا ويسبقها أو يعقبها ما قيل فيها من الأشعار، فمثلاً نجد ذلك عقب غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة، وعقب غزوة أحد في السنة الثالثة وغزوة الخندق في السنة الخامسة، كما نجد أطرافاً من ذلك في فتح مكة للسنة الثامنة. فقد أثبت الدكتور شوقي ضيف أشعاراً كثيرة من هذا النوع في كتابه الأدب الإسلامي، ولم تكن كلها أشعاراً حماسية، ففيها مراث رائعة لبعض ضحاياها، ومن ذلك مثلاً قصيدة كثير بن الغريزة التميمي يرثي بها من أصيبوا في معارك الطالقان وجوزجان لعهد عمر بن الخطاب، وفيها يقول:

سقى مُزْنَ السحاب إذا استهلَّت \* مصارعَ فتيةٍ بالجوزجان  
وما بى أن أكون جَزَعْتُ إلا \* \* حنين القلب للبرق اليمامي  
ورب أخ أصاب الموتُ قبلي \* \* يكيث ولو نُعيْتُ له بكان<sup>(39)</sup>

هب أننا دخلنا في تاريخ أقرب المعارك إلينا، فليكن الحروب الصليبية مثلاً - إذا جاز التعبير - نجد أن الشعر يعيش أحداثه ويمشي معها خطوة فخطوة منذ استيلاء الفرنجة على القدس 492 إلى تحريرها 583هـ. منذ هذه اللحظة الأولى من الهجوم الصليبي قد أخذ الشعر في التذكير المتقاعسين عن الجهاد من المسلمين بنتائج هذا التقاعد عليهم وعلى ذراريهم في الدنيا والآخرة، ولم تقف عند هذه الخطوة من التذكير والانذار، ولكنها جعلت ترسم لهم سبل الخلاص، والعمل الجاد وفي الجهاد في سبيل إعادة ما وضع عليه الأعداء أيديهم إلى الحوض الإسلامي، وقد ارتبط هذا الشعر كله أولاً بالانطلاق من العقيدة الإسلامية في الجهاد. وقد استطاع هذا الشعر أن يقدم تهنئة ممتازة لعماد الدين زنكي بفتحته لامارة الرها عام 539 كما قدم تهنئة لنور الدين محمود بتخليص حصن حارم من الفرنجة، وبقتل صاحب

انطاكية عند حصن أنب عام 544هـ، كما استخدم الشعر في مدح صلاح الدين عند انتصاره في معركة حطين التي أعاد الله فيها البيت المقدس إلى أيد المسلمين<sup>(40)</sup>

#### الخاتمة:

لا نريد أن نفهم من كل ما قدمنا أننا من المتعصبين للشعراء ولا البررين لزلالات الشعر وهفوات شعرائه، ولكنني أريد أن نفهم أن الشعر أداة من أدوات الفنون قابل للخير والشر، حسنه حسن وقبيحه قبيح كسائر الكلام، بيد أن الأشعار الجاهلية والقصائد الأولية التي قيلت في زمن الاحتجاج بأهلها لها الفوائد القيمة التي أشرنا إليها حتى وإن كانت هجاءً مقذعاً أو غزلاً مكشوفاً أعنى من حيث أسلوب عربي، فما يمنعنا والحالة هذه أن نجنى من ثمار أشجاره ما طاب، ونترك منها ما خبث من توجيه غير حسن أو دعوة إلى غير القيم المثلى، أو افتخار بنزعة من نزعات الجاهلية الأولى.

وعلى كل، فمن خلال ما تقدم من موقف النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم، والقرآن الكريم وكذلك السلف الصالح، نفهم جلياً أن موقف الإسلام تجاه قضية الشعر موقف مؤيد ومسجع له، بل ويأخذ بيد الشعراء ويكرمهم ويكافؤهم جزاءً وفقاً لما قدموه من خير جليل وخدمة لا يستهان بها تجاه الإسلام والمسلمين.

ومن هنا نجد أن هناك تساؤلات بدأت تطرح نفسها ومن هذه التساؤلات: إذا كان هذا موقف المسلمين الأوائل تجاه الشعر، فما موقفنا نحن - مسلمي اليوم - إزاء هذه القضية، قضية الشعر وإفادة الإسلام منه في نشر دعوته، وتثبيت دعاماتها في عالم اليوم وعالم الغد؟ والله - سبحانه وتعالى - نسأل أن يلهمنا الصواب وأن يوفقنا لخدمة دينه، إنه نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

1. فيروز آبادي: القاموس المحيط، الطبعة الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، عام 1952م. ص 60.
2. قدامة ابن جعفر: نقد الشعر، تحقيق وتعليق، الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب العلمية بيروت - لبنان. غير مؤرخ. ص 68.
3. آدم عبد الله الإلوري: لباب الأدب (قسم الشعر)، ط3، المطبعة الثقافية الإسلامية، أغني، نيجيريا. 1972م. ص 7.
4. شعر الحر والمولدين.
5. صلاح الدين عبد التواب (الدكتور): الحياة الأدبية وعصرى الجاهلية وصدر الإسلام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة. غير مؤرخ ص 89.
6. المرجع نفسه.
7. المرجع نفسه.
8. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، الطبقة الأولى، المجلد الثاني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة. 1931م، ص 132، 143.
9. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، الطبعة السابعة دار المعارف بمصر، القاهرة 1963م. ص 47.
10. أبو الفرج الأصفهاني: المصدر السابق، ص 143.
11. المرجع نفسه، ص 144.
12. الدكتور صلاح الدين: المرجع السابق، ص 307، أبو الفرج الأصفهاني المرجع السابق، ص 146، وابن هشام: السيرة النبوية، المجلد الرابع، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان. (غير مؤرخ) ص 206.
13. مصطفى محمود يونس (الدكتور): من النصوص الأدبية في الجاهلية والإسلام، الطبعة الثانية، طبعة جامعة الأزهر، القاهرة. 1981م. ص 131، وانظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء، المجلد الثاني، دار المعارف بمصر، القاهرة. 1966م، ص 154، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد الثاني، بيروت. 1965م. ص 276.
14. النقع: غبار الحرب، كداء: موضع بأعلى مكة، وهو غير كدى بالضم، الفيروز آبادي: المرجع السابق، مادة: "كداء" المجلد الثاني، ص 384.
15. مصطفى محمود يونس (الدكتور)، المرجع السابق، ص 128.
16. المرجع نفسه والصفحة نفسها.
17. الشوكاني: فتح القدير، الطبعة الثانية، المجلد الرابع، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة. عام 1964م. ص 122.
18. الشوكاني: المرجع نفسه، ص 123.
19. المرجع نفسه والصفحة نفسها.

20. القرطبي، الجزء الخامس عشر، دار الكتب المصرية، القاهرة. 1965م. ص 128.
21. القرطبي: المرجع نفسه، ص 53، ومصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العربي، الطبعة الثانية، المجلد الثاني، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان. عام 1974م، ص 310.
22. صالح آدم بيلو (الدكتور): من قضايا الأدب الإسلامي، الطبعة الأولى، دار المنار لنشر السعودية، جدة. 1981م. ص 32.
23. صالح آدم بيلو: المرجع نفسه، ص 32.
24. القرطبي: المرجع السابق، ص 54.
25. الشوكاني: المرجع السابق، ص 123.
26. السيد قطب: في ظلال القرآن، الطبعة السابعة، بيروت، لبنان. 1971م. ص 246/18.
27. المرجع السابق، الجزء الثالث والعشرون.
28. الدكتور صالح آدم: المصدر السابق، ص 41.
29. السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، دار الفكر، المجلد الثاني، (غير مؤرخ) ص 479.
30. المرجع نفسه.
31. صالح آدم (الدكتور) المرجع السابق، ص 42، والسيوطي: المصدر السابق، ص 482.
32. السيوطي: المصدر السابق، ص 478، وصالح آدم (الدكتور): المصدر السابق، ص 43.
33. العزوب: الذهاب.
34. صفين: موضع على شاطئ الفرات، وفيه دارت الوقعة المشهورة بين علي ومعاوية، غرة صفر سنة 37هـ.
35. السيوطي: المرجع السابق، ص 310.
36. صالح آدم (الدكتور): المرجع السابق، ص 45.
37. عبد التواب صلاح (الدكتور): المرجع السابق، ص 313.
38. عبد الرحمان شملية: مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الأول السنة العاشرة، المدينة المنورة، يونيو 1977م، ص 151.
39. شوقي ضيف: المصدر السابق، ص 65.
40. عمر عبد الرحمان الساريسي (الدكتور): نصوص من آداب الحروب الصليبية، الطبعة الأولى، دار المنار لنشر السعودية، جدة. 1985م، ص 46 وما بعدها.